عمر بن عبد العزيز ...
العدالة فى ثلاثين شهراً

تبوأ الخليفة عمر بن عبد العزيز (٦٨١- ٧٢٠م) مكانة فريدة فى التاريخ الإسلامى لم يصل إليها نخبة من الفاتحين والقادة ، وذلك بأعماله العظيمة وإدارته العادلة للدولة ، واحتاج لإحداث هذا التغير فى حياة الأمة إلى ... ثلاثين شهراً فقط.

ولد عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم فى المدينة المنورة ، وإن كان بعض المؤرخين يذكرون أنه ولد بمصر ، ويرجع نسبه من أمه إلى عمر بن الخطاب ، حيث كانت أمه هى أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، نشأ بالمدينة المنورة بين أخواله من أبناء وأحفاد الفاروق عمر ، حيث كان والده عبد العزيز بن مروان والياً على مصر لمدة عشرين عاماً ، وتتلمذ عمر بن عبد العزيز على عدد من خيرة علماء المدينة المنورة .

وبعد مرحلة طلب العلم استدعاه عمه الخليفة عبد الملك بن مروان إلى دمشق ، وزوجه ابنته فاطمة ثم عينه والياً على إمارة صغيرة من أعمال حلب ، وظل والياً عليها حتى توفى عبد الملك بن مروان سنة ٧٠٥م.

ولما تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة بعد أبيه سنة ٧٠٥م عين ابن عمه عمر بن عبد العزيز والياً على المدينة المنورة ، وقد استقبله أهل المدينة

استقبالاً حسناً ، فهم يعرفون خلقه وفضله منذ أن نشأ بينهم ، وأحسنوا الظن فيه، فلم يخيب آمالهم ، وبادر إلى العمل الجاد ، واختار معاونيه من خيرة الرجال ، وأفضلهم قدرة وكفاءة .

وفى فترة ولايته نعمت المدينة بالهدوء والاستقرار وشعر الناس بالأمن والعدل ، وقام بتجديد المسجد النبوى ، وتحسين عمارته ، ثم عزله الخليفة الوليد سنة ٧١١ م بعد أن ظل والياً على المدينة ست سنوات ، ولم يكن عزله عن تقصير وإهمال ، ولكن عزل بسبب وشاية استجاب لها الوليد ، فأخرجه من منصبه ، فعاد عمر إلى الشام ، ولم يتول منصباً .

وظل عمر بن عبد العزيز حتى وفاة الوليد بن عبد الملك سنة ٧١٤ م فى الشام ، فلما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة من بعده أبقى على عمر ، ولم يوله منصباً وجعله فى بلاطه مستشاراً وناصحاً ، ومعاوناً له وظهيراً ، فلما حضرته الوفاة أوصى له بالخلافة من بعده ، لما رأى فيه من القدرة والكفاءة ، والتقوى والصلاح ، والميل إلى الحق والعدل ، فتولاها فى سنة ٧١٧ م.

عندما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة بدأ بنفسه وأهل بيته ، فأعاد الأراضى التى وهبت له ولزوجته وأولاده من بيت مال المسلمين ، وطلب من بنى أمية ارجاع ما أخذوه من بيت مال المسلمين بدون وجه حق ، كما جلس ينظر فى مظالم الرعية ، فأعاد إلى الناس ما اغتصبه أفراد أسرته منهم ، وطلب من موظفى الدولة والعمال مراعاة الحذر فى أموال الدولة ، وعدم استخدامها للحاجات الشخصية ، وعزل الولاة الظالمين والعمال القساة وعين بدلاً منهم ولاة جدد ، وكان يراقب تصرفاتهم .

وإذا كان قد أخذ نفسه بالشدة والحياة الخشنة ، فإنه لم يلزم بها ولاته ، بل وسع عليهم فى العطاء ، وفرض لهم رواتب جيدة تحميهم من الإنشغال

بطلب الرزق ، وتصرفهم عن الإنشغال بأحوال المسلمين ، كما منعهم من الإشتغال بالتجارة ، وأعطى لهم الحرية فى إدارة شئون ولاياتهم ، فلا يشاورنه إلا فى الأمور العظيمة ، وكان يظهر ضيقه من الولاة إذا استوضحوه فى الأمور الصغيرة .

عرف عمر بن عبد العزيز قيمة مال الدولة ، فلم ينفقه إلا فيما فيه نفع الأمة ، وكان يكره التصرف فى المال العام بلا ضابط أو رقيب ، وكأنه مال خاص للخليفة أو الوالى ينفقه كيفما شاء ، ويعطيه لمن شاء ، ولذا كان يدقق فى إنفاق مال الدولة لأنه أمانة يجب صيانتها ، ولكل فرد من الأمة حق فيها يجب حفظه ، وأعطى عمر من نفسه القدوة والمثال فى حفظ مال الدولة ، فتبعه ولاته، وانتهجوا طريقته .

وكان من نتائج هذه السياسة أن تدفقت الأموال إلى خزينة بيت المال من موارد الدولة المتنوعة التى حافظ الولاة عليها ، ورعوها حق رعايتها ، وكانت كفيلة بأن تقوم بكل مسؤوليات الدولة تجاه أفرادها وتحسين حياتهم إلى الحد الذى جعله يكتب إلى أحد ولاته : " أن أقضوا عن الغارمين " ، أى أدوا عنهم دينهم ، فكتب إليه : " إنا نجد الرجل له المسكن والخادم والفرس والأثاث " ، فكتب إليه عمر : " أنه لا بد للمرء المسلم من سكن يسكنه ، وخادم يعينه ، وفرس يجاهد عليه ... أقضوا عنه فإنه غارم " .

وبلغ من حرصه على الرفق برعيته واحترامه لحقوق الإنسان أن جعل لكل أعمى قائداً يقوده ويخدمه ، ولكل مريضين مرضاً شديداً خادماً لهما ، ولكل خمسة أيتام أو من لا عائل لهم خادماً يخدمهم ، ويقوم على شؤونهم .

وفاض المال فى بيت المال بفضل سياسته الحكيمة وعدله الناصع فمكنه من فرض الرواتب للعلماء وطلاب العلم ، والمؤذنين ، وفك رقاب الأسرى ،

وعال أسرهم فى أثناء غيابهم ، وقدم العطايا للسجناء مع الطعام والشراب ، وحمل بيت المال تكاليف زواج من لا يملك نفقاته .

ويذكر لعمر بن عبد العزيز أنه اسقط الجزية عن أبناء البلاد المفتوحة الذين دخلوا فى الإسلام ، وكان بعض عمال بنى أمية لما أعوزهم المال بسبب الحروب واشتعال الثورات أبقوا الجزية على هؤلاء .

كما بدأ عمر بن عبد العزيز الخطوة الأولى فى تدوين السنة ، حين كتب إلى الأمصار يأمر العلماء بجمع الأحاديث وتدوينها .

توفى الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز ودفن فى منطقة دير سمعان من أعمال المعره بالقرب من حلب فى سوريا ، استمرت خلافته فترة قصيرة جداً ، فلم تطل مدة خلافته سوى عامين ونصف ثم حضره أجله ولاقى ربه عادلاً فى الرعية قائماً فيها بأمر الله تعالى ، وعندما توفى لم يكن فى سجنه رجل واحد ، وفى عهده انتشر العلم وكثرت المساجد فى أرجاء الدولة الأموية التى تعلم القرآن ، وفى عهده القصير أوقف الحرب مع جيرانه ووسع العمل داخل دولته ، كالشوارع والطرقات والممرات الآمنة ، ودور المياه ودور الطعام، والمدارس ، ونسخ الكتب ، واهتم بالترجمة ونقل العلم والى غير ذلك من الأعمال الخيرة ، حتى دعاه المؤرخون بخامس الخلفاء الراشدين .

أول معاجم اللغة العربية

كان الخليل بن أحمد الفراهيدى (٧١٨ – ٧٨٦ م) الذى ولد فى عمان وتوفى فى البصرة هو الرائد فى هذا المجال ، حيث قام بترتيب المفردات على أساس صوتى وليس على أساس ترتيب الحروف الأبجدية المعروف لدينا الآن ، وعلى هذا فقد رتب الحروف حسب مخارجها من الحلق فاللسان فالأسنان فالشفتين ، وبدأ بحرف العين ... وسمى كل حرف كتاباً وسمى كتابه الأول (العين) جرياً على عادة تسمية العرب الكتب بأول لفظ من ألفاظها.

ويعد الخليل بن أحمد الفراهيدى من أهم علماء المدرسة البصرية حيث أسس علم العروض ، وكان معلماً للعالم الكبير سيبويه ، كما قام بتغيير رسم حركات الكلمات ، إذ كانت التشكيلات ترسم على هيئة نقاط بلون مختلف عن لون الكتابة – وذلك أن قام نصر بن عاصم بوضع النقاط على الحروف لتمييزها- فكان من الضرورى تغيير رسم الحركات ليتمكن القارئ من التمييز بين تنقيط الحركات وتنقيط الحروف ، فجعل الفتحة ألفاً صغيرة مائلة فوق الحرف ، والكسرة ياءً صغيرة تحت الحرف ، والضمة واواً صغيرة فوقه ، وإذا كان الحرف منوناً كرر الحركة ، ووضع شيناً غير منقوطة للتعبير عن الشدة، ووضع رأس عين للتدليل على وجود الهمزة وغيرها من الحركات كالسكون

وهمزة الوصل ... وله من الكتب بالإضافة إلى معجم العين ، النغم ، والعروض، والشواهد والإيقاع.

وكان أول مؤلف يحمل اسم " معجم " هو كتاب أبى يعلى أحمد بن على بن المثنى (٨٢٥ – ٩١٩ م) واسمه " معجم الصحابة " ، ومن الجدير بالذكر هنا أن علماء اللغة الذين دونوا مفردات اللغة قبل هذا المؤلف ، لم يطلق أحد منهم على كتابه اسم معجم وإنما أطلق اسماً خاصاً بمعجمه مثل " تهذيب اللغة " أو " الجمهرة " ... الخ .

ثم أطلق لفظ (معجم) على هذا اللون من الكتب اللغوية التى تعالج اللفظ فتشرح مدلوله ، وما يتصل به لغوياً أو تجمع الألفاظ المتصلة بمعنى واحد أو موضوع واحد فى كتاب ... ولقد سميت المعاجم أيضاً بالقواميس نسبة إلى تسمية الفيروز أبادى معجمه " بالقاموس المحيط " والآن ترادف كلمة قاموس كلمة معجم .

وإذا أردنا معرفة كيف وصلت الأبجدية العربية التى يستعان بها فى عمل المعاجم إلى ترتيبها الحالى ، فيجب أن نبدأ بالحديث عن الفينيقيين لأن الفضل يرجع إليهم فى اختراع الأبجدية الصوتية الهجائية التى وضعت لكل صوت من أصوات اللغة علامة خاصة ، وأقدم أشكال هذه الحروف يتمثل فى التقسيم الفينيقى الذى يرجع إلى القرن العاشر قبل الميلاد والذى وجد فى (قبرص) ويليه النصب التذكارى للملك (ميشع) ملك " مواب " والذى اكتشف فى عام ١٨٦٨ م وهو الآن محفوظ بمتحف اللوفر بباريس ويرجع إلى ما بعد سنة ١٠٠ ق.م بقليل.

ومصطلح الأبجدية نسبة إلى لفظ (أبجد) وهى أولى الكلمات التى جمعت حروف الهجاء الفينيقية المكونة من اثنين وعشرين حرفاً مرتبة حسب

ترتيبها فى الكلمات الست الآتية :-

أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت .

وهى لا تعبر إلا عن الأصوات الصامتة بالإضافة إلى صوتى الواو والياء .

وأضاف العرب أحرفاً ستة على هذه الأبجدية وسموها بالروادف لأنهم أردفوها بحروف الكلمات الست السابقة وجمعت هذه الحروف فى كلمتى (ثخذ، ضظغ) فأصبحت حروف الأبجدية بذلك ثمانية وعشرين حرفاً ، وعندما صعب على العرب التمييز بين الأحرف المتشابهة فى شكلها كالجيم والحاء والسين والشين والباء والتاء والثاء انتبه إلى هذا الحجاج بن يوسف أمير العراق ، فأوصى إلى نصر بن عاصم وكان – رساماً وخطاطاً – أن يضع لهذه الحروف المتشابهة علامات تميزها بعضها عن بعض ، فقام بوضع النقط سواء نقطة أو اثنتين أو ثلاثة ، ووضع الحروف المتشابهة مسلسلة ولذلك لم يتفق الترتيب الفينيقى مع ترتيب نصر بن عاصم إلا فى أحرف (كلمن) فترتيبها عنده كما هو فى الترتيب الفينيقى القديم.

وبذلك أصبحت الأبجدية العربية على الترتيب المعروف لدينا الآن.

لا يفتى ومالك بالمدينة

إنه الإمام مالك (٧١٥ – ٧٩٦م) " أبو عبد الله مالك بن أنس الحميرى" إمام دار الهجرة ، ولد بالمدينة المنورة ، وبدأ فى طلب العلم وهو صغير لم يتجاوز بضع عشرة سنة ، وحرص على جمعه ولازم العديد من كبار العلماء ، وقد بلغ عدد شيوخه حوالى ٣٠٠ من التابعين و ٦٠٠ من أتباع التابعين .

عرف عن الإمام مالك بأنه قوى الحافظة ، وجيد التحرى فى رواية الحديث مدققاً فى ذلك كل التدقيق ، ولا ينقل إلا عن الإثبات ، ولا يغتر بمظهر الراوى أو هيئته ، وروى أنه كان يقول " ما أجبت فى الفتوى حتى سألت من هو أعلم منى هل ترانى موضعاً لذلك سألت ربيعة وسألت يحى بن سعيد فأمرانى بذلك فقلت فلو نهوك ؟ قال كنت انتهى لا ينبغى للرجل أن يبذل نفسه حتى يسأل من هو أعلم منه ... ولذلك ضربت به الأمثال كحجة فى الدين فقيل "لا يفتى ومالك بالمدينة"

وقد رأى الخليفة أبو جعفر المنصور أن فئة من الناس يكيدون للإسلام سراً وجهراً بوضع كثير من الأحاديث المكذوبة فى التفسير وأصول الدين ، فكلف الإمام مالك إمام المدينة بجمع كتاب جامع للأحاديث التى صحت عنده فى

الفقه وأصول الدين ويوطئه للناس فوضع كتابه "الموطأ" فى أربعين سنة الذى ذاع وأصبح أساساً لكتب الفقه التى ألفت بعده.

قال الإمام الشافعى : ما ظهر على الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك ، قال البخارى " أصح الأسانيد كلها : مالك عن نافع عن ابن عمر " ، وكثيراً ما ورد هذا الإسناد فى الموطأ ، قال القاضى أبو بكر بن العربى فى شرح الترمذى : الموطأ هو الأصل واللباب وكتاب البخارى هو الأصل الثانى فى هذا الباب ، وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذى .

من مؤلفاته أيضاً الرد على القدرية ورسالة فى القدر وكتاب النجوم والحساب مدار الزمن ورسالة فى الأقضية فى عشرة أجزاء وتفسير غريب القرآن وغيرها ، ورويت عن الأمام مالك المدونة وهى مجموعة رسائل فقهية تبلغ نحو ٣٦ ألف مسألة .

ويعد المذهب المالكى ثانى المذاهب الأربعة فى القدم بعد المذهب الحنفى، ويقال لأصحابه " أهل الحديث " ونشأ هذا المذهب بالمدينة المنورة ثم انتشر بالحجاز ومصر وبعض بلاد أفريقيا والأندلس وصقلية والمغرب الأقصى، ثم ضعف شأنه فى المدينة المنورة وغلب عليه المذهب الشافعى ، واستمر هذا المذهب منتشراً فى مصر إلى أن جاء الفاطميون فأظهروا مذهب الشيعة ، وهجروا غيره من المذاهب الأخرى ، ثم عاد إلى الانتعاش فى الدولة الأيوبية ، وكان فى المرتبة الثانية بعد الشافعى .

الخليفة المهدى يأمر
بجلد بشار بن برد حتى الموت !!

ولد بالبصرة عام ٧١٤ م من أب فارسى وفيها نشأ ... وكان بشار عبداً فى البداية ثم اعتق ، كما أنه ولد غير مبصر على أنه كان يشبه الأشياء بعضها ببعض ، فيأتى بمالا يقدر عليه المبصرون .

واتجه بشار بن برد منذ نعومة أظافره إلى حلقات العلم والشعر ... ولم يكد يبلغ العاشرة حتى أخذ الشعر يتدفق على لسانه ، وكان الهجاء يضطرم فى موطنه فى هذه الفترة فكان طبيعياً أن يكون الهجاء أول موضوع ينظم فيه حيث غلب على شعره المجون والكلمات البذيئة ، ويقال أن أباه كان يضربه بسببه ضرباً مبرحاً لكثرة ما يشكو الناس منه ، وكانت أمه ترجوه أن يترفق به فيجيبها قائلاً : أنى لأرحمه ولكنه يتعرض للناس ... فقال بشار لوالده : قل لهم أليس الله يقول (ليس على الأعمى حرج) ، وفعلاً عندما عاد الناس إلى "برد" يرددون شكواهم تلا عليهم الآية الكريمة ، فانصرفوا قائلين : فقه برد أغيظ لنا من شعر بشار.

ثم اتجه إلى البادية لإتقان اللغة العربية ، وعاد إلى البصرة وإلى حلقات الفلاسفة ، ويبدو أنه تسرب إليه من هذه المجالس شئ من الفلسفة والمنطق ، ولم تلبث الأمور أن فسدت بينه وبين واصل بن عطاء رأس المعتزلة الذى كانت

تربطه به صلة وثيقة ... حيث تبين أنه يدين بالرجعة أو عودة الإمام المختفى ويكفر الأمة ، وتتابع منه ما يؤكد على إلحاده ، مثل قوله يشيد بعبادة النار :

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

وتمادى فى كفره يفضل إبليس المخلوق من النار على آدم المخلوق من الطين قائلاً :

النار عنصره وآدم طينه والطين لا يسمو سمو النار

ومضى بشار يعلن زندقته مصرحاً بأنه لا يؤمن إلا بما يشهده الحس ، فهو لا يؤمن بجنة ولا نار ولا ببعث ولا حساب ... كل هذا جعل واصل بن عطاء يثور عليه ثورة شديدة وكان مما زاد هذه الثورة أن رآه يكثر الغزل المادى الآثم الذى يعد خطراً على شباب البصرة ونسائها ، وتم طرده بالفعل من البصرة .

واتجه يمدح أكثر من والى حتى وصل إلى خالد بن برمك والى فارس حيث وجد أن بينهما صلة هى الأصل الفارسى ، فشعر بشار بإقبال الدنيا عليه فتغنى بشعوبيته وفخر بها فخراً مسرفاً.

ثم عاد إلى البصرة حيث حدثت ثورة للعلويين بزعامة إبراهيم بن عبدالله ، وخيل إليه أن الانتصار فى صف إبراهيم فمدحه بقصيدة رائعة ، ولكن سرعان ما يخيب فأله إذ قمع المنصور الثورة ، ويسارع بشار فيغير القصيدة ويجعلها فى مدح المنصور ، ولكنه لم يستطع الذهاب إليه.

ويمضى بشار فى غزله ، على الرغم من أن كل شئ فيه كان ينفر المرأة إذ كان قبيح المنظر جاحظ العينين يغطيهما لحم أحمر ، ولعل هذا القبح

ونفور النساء منه هو الذى كان يستثير عنده الغريزة ويدفعه إلى الإفراط فى الغزل المكشوف ، على أن هذا الغزل نفسه جعل بعض بنات الهوى يقبلن عليه ويتغنين بشعره ... وعلى الرغم من هذا الغزل المكشوف إلا أنه كتب عدداً من القصائد الشعرية الرقيقة منها البيتين التاليين :

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً

قالوا بمن لا ترى تهذى؟ فقلت لهم الأذن كالعين توفى القلب ما كانا

وعندما توفى المنصور وتولى المهدى الحكم ذهب إليه بشار بن برد يمدحه ، وأغدق عليه الهبات ، وكان المهدى يتميز بالشدة فى شئون الدين وعلم أن بشاراً يفسد النساء والشباب بغزله الفاضح فأمره أن يكف عن ذلك ، وكف بشار على مضض ... وأخذ يردد فى أشعاره أنه ترك الغزل نزولاً على إرادة الخليفة ، وتضايق المهدى إذ كان يراه لا يكف عما نهاه عنه ، وترامت إليه أنباء زندقته وما يغرق فيه من مجون فمنع عنه عطاياه ... ثم تعقب المهدى الزنادقة وقتل منهم الكثير ، ومكث بشار فى البصرة خوفاً على نفسه ، غير أن صمته لم يطل فأخذ فى رثاء أصدقائه الزنادقة الذين قتلوا .

وهجا بشار بن برد المهدى ووزيره يعقوب بن داود هجاءً مقذعاً ، فجاء المهدى إلى البصرة وتأكد أن بشار زنديق فعلاً حيث سمعه يؤذن وهو ثمل فى غير وقت الصلاة وعرف أنها عادته ، وعندئذ أمر بضربه حتى الموت فضرب سبعين سوطاً مات على أثرها ، ولم يتبع جنازته سوى امرأة واحدة هى جاريته السوداء .

عبدالرحمن الداخل ... فاتح الأندلس

هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك (٧٣١ – ٧٨٨ م) الملقب بصقر قريش ، نشأ عبد الرحمن فى بيت الخلافة الأموى بدمشق ، وكان أحد الأمراء الأمويين المرشحين للخلافة ، هرب من العباسيين عند قيام دولتهم إلى الأندلس حيث دخلها ، وأكمل فترة الخلافة الأموية ، وسمى لذلك عبدالرحمن الداخل .

فعندما أقام العباسيون دولتهم على أنقاض الدولة الأموية ، كان هدفهم تعقب الأمويين والقضاء على أفراد البيت الأموى ، فقتلوا الأمراء وأبناء الأمراء بل وأحفادهم ، وكل من توقعوا أن يكون أهلاً للإمارة خشية محاولة أحدهم استرداد مجدهم لاسيما فى الشام ، وبذلوا الجهود المضنية لتحقيق هذا الهدف .

ونجح العباسيون فى الفتك بالأمويين باستثناء عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الذى اختبأ فى قرية منعزلة قريبة من الفرات ، وكان معه ابنه الطفل سليمان وكان عمره وقتها أربع سنوات ، وأخ أصغر وأختين ، وعندما اكتشفت الشرطة مكانهم هرب عبد الرحمن مع أخيه الوليد بن معاوية عبر بعض البساتين فلما تعقبتهما الشرطة ، حاولا عبور النهر فأغرتهما الشرطة أن يرجعا ولهما الأمان فرجع أخوه وغرر به وقتله العباسيون وكان عمره ثلاثة عشر

سنة، بينما نجح عبد الرحمن فى الوصول إلى الضفة الأخرى بسلام ولم تتطلى عليه مكيدتهم ولحق به مولاه بدر طبقاً لخطة سابقة .

بعد أن فر عبد الرحمن بن معاوية من الشام وصل إلى القيروان وعمره تسع عشرة سنة ، وهناك وجد ثورة كبيرة للخوارج فى الشمال الأفريقى كله وعلى رأسها عبد الرحمن بن حبيب ، وكان قد استقل بالشمال الأفريقى عن الدولة العباسية ، ولأنه كانت هناك كراهية شديدة بين الخوارج والأمويين فقد كان عبد الرحمن بن حبيب يسعى هو الآخر للقضاء على عبد الرحمن بن معاوية حين علم بأمره ، فحين قدم عبد الرحمن بن معاوية إلى القيروان اجتمع عليه الخوارج وكادوا أن يقتلوه ، فهرب من جديد إلى برقة (فى ليبيا) وظل مختبئاً فيها عند بعض أخواله هناك طيلة أربع سنوات كاملة حتى سنة ٧٥٤م وكان قد بلغ من العمر ثلاثة وعشرين سنة .

كانت الأندلس أصلح البلدان لاستقباله وذلك لأنها أبعد الأماكن عن العباسيين والخوارج ولأن الوضع فى الأندلس ملتهب حيث انقسمت الأندلس إلى فرق عديدة متناحرة ، وثورات لا نهائية ، كل يريد التملك والتقسيم وفق عنصره وقبيلته .

بدأ عبد الرحمن بن معاوية يعد العدة لدخول الأندلس ، حيث أرسل مولاه بدر إلى الأندلس لدراسة الموقف ، ومعرفة القوى المؤثرة فى الحكم فيها ، وراسل كل محبى الدولة الأموية فى أرض الأندلس بعد أن علمهم من مولاه ، ثم راسل البربر فى الأندلس ، وطلب معونتهم ومساعدتهم ، وكانوا فى ذلك الوقت على خلاف شديد مع يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ، لأنه فرق بينهم وبين العرب ، وراسل كل الأمويين فى كل الأماكن واخبرهم أنه يعتزم دخول الأندلس ويطلب معونتهم ومددهم.

وفى عام ٧٥٥ م عبر عبد الرحمن المضيق وانضم إلى أنصاره وزحف إلى اشبيلية واستولى عليها وبايعه أهلها ، ثم نجح فى دخول قرطبة العاصمة ، بعد أن هزم جيش يوسف بن عبد الرحمن الفهرى فى موقعة المصارة .

بعد موقعة المصارة والسيطرة على منطقة قرطبة والجنوب الأندلسى لقب عبد الرحمن بن معاوية بعبد الرحمن الداخل ، لأنه أول من دخل من بنى أمية قرطبة حاكماً .

بويع عبد الرحمن بالإمارة فى قرطبة ، وأعلن نفسه أميراً على الأندلس فوق منبر مسجد قرطبة الجامع ، ولم يكن عبد الرحمن قد تجاوز السادسة والعشرين من عمره ، ولم يشأ عبد الرحمن أن يطن نفسه خليفة لأن فكرة الخلافة عند فقهاء السنة فى ذلك الوقت تقتضى بأن خلافة المسلمين واحدة لا تتعدد ، وأن الخروج منها عصيان فضلاً أن الخليفة هو حامى الحرمين الشريفين ويسيطر على الحجاز .

حاولت الخلافة العباسية أن تضم الأندلس إلى دولتها ولكن عبد الرحمن الداخل وقف لهم وحاربهم وانتصر عليهم ، حتى لقبه العباسيون أنفسهم بصقر قريش وهو اللقب الذى اشتهر به بعد ذلك ، فقد كان أبو جعفر المنصور جالساً مع أصحابه فسألهم : أتدرون من هو صقر قريش ؟ فقالوا له : بالتأكيد هو أنت، فقال لهم : لا . فعددوا له أسماء حتى ذكروا له معاوية وعبد الملك بن مروان من بنى أمية ، فقال أيضاً : لا ، ثم أجابهم قائلاً " بل هو عبد الرحمن بن معاوية، دخل الأندلس منفرداً بنفسه ، مؤيداً برأيه ، مستصحباً لعزمه ، يعبر القفر ويركب البحر حتى دخل بلداً أعجمياً فمصر الأمصار وجند الأجناد ، وأقام ملكاً بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة عزمه " .

كانت مدة حكمه ٣٣ سنة اهتم فيها بالأمور الداخلية للبلاد اهتماماً كبيراً، ففى الجانب العسكرى اهتم عبد الرحمن الداخل بإنشاء جيش قوى ، وبرغم قدوم

عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس وحيداً ، فقد وصل تعداد الجيش فى عهده إلى مائة ألف فارس ، كما أنشأ دوراً للأسلحة ، فأنشأ مصانع السيوف ومصانع المنجنيق ، وكان من أشهر هذه المصانع مصانع طليطلة ومصانع برديل ، وأنشأ أيضاً أسطولاً بحرياً قوياً ، بالإضافة إلى إنشاء أكثر من ميناء كان منها ميناء طرطوشة والمرية وإشبيلية وبرشلونة وغيرها من الموانئ ، وكان يقسم ميزانية الدولة السنوية إلى ثلاثة أقسام قسم ينفقه بالكامل على الجيش ، والقسم الثانى لأمور الدولة العامة من مؤن ومعمار ومرتبات ومشاريع وغير ذلك ، والقسم الثالث كان يدخره لأحداث الزمان غير المتوقعة .

كما أعطى عبد الرحمن الداخل العلم والجانب الدينى المكانة اللائقة بهما، فعمل على نشر العلم وتوقير العلماء ، واهتم بالقضاء وبالحسبة ، واهتم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وكان من أعظم أعماله فى الناحية الدينية بناء مسجد قرطبة الكبير .

والى جانب ذلك برز اهتمامه الكبير بالإنشاء والتعمير ، وتشييد الحصون والقلاع والقناطر ، وربطه أول الأندلس بآخرها ، وانشائه أول دار لسك النقود الإسلامية فى الأندلس ، وانشائه الرصافة ، وهى من أكبر الحدائق فى الإسلام ، وقد انشأها على غرار الرصافة العربية ، والتى أسسها جده هشام بن عبد الملك ، وقد أتى لها بالنباتات العجيبة من كل بلاد العالم .

الخوارزمى ... يؤسس علم الجبر

محمد بن موسى الخوارزمى (٧٨١ – ٨٤٥ م) ... واحد من أبـرز علماء الرياضيات المسلمين ... انتقلت عائلته من مدينة " خوارزم " باوزبكستان حالياً إلى العراق حيث أنجز معظم أبحاثه بين عامى ٨١٣ – ٨٣٣ م فـى دار الحكمة التى أسسها الخليفة المأمون بالعراق .

ويعتبر الخوارزمى منشئ علم الجبر كعلم مستقل ، فقد ألّف كتاباً مهمـاً فى هذا المجال " حساب الجبر والمقابلة " ، وقد قصد الخوارزمى بالجبر نقـل الحدود السالبة من أحد طرفى المعادلة إلى الطرف الآخر لتكون موجبة ، أو نقل الحدود التى تحتوى على المجهول إلى طرف واحد ، ونقل الأعداد إلى الطرف الآخر ... وقصد بالمقابلة اختصار ما يجوز اختصاره بعد عملية الجبر ، وإيجاد قيمة المجهول وذلك فى معادلة الدرجة الأولى ، وقد عنى الخوارزمى فى كتابه بمعادلة الدرجة الثانية ، فرتبها وبوبها وصنفها تبعاً لنقل الحدود السالبة من أحد طرفى المعادلة إلى الطرف الآخر لتكون موجبة وعالج كل صنف منها واعترف بالجذور الصماء .

وقد شرح وعلق الكثيرون على هذا الكتاب ، وتناوله الغربيون بالعنايـة وكان لهم مرشداً ومعلماً حتى أنهم أبقوا لفظ الجبر (Algebra) كما سماه فـى

كتابه علماً على هذا العلم ، كما أن الكلمة الإنجليزية (algorism) ومعناها الأعداد العربية (نظام العد) من واحد إلى تسعة إنما هى مشتقة من اسم الخوارزمى ، كما أدخل مفهوم العدد صفر وقد تعلمت أوربا العلامات العشرية من الترجمة اللاتينية لمؤلفاته فى الحساب والجبر ... وبقيت معادلة الدرجة الثانية كما تركها الخوارزمى حتى القرن السادس عشر .

وفى الجغرافيا صحح الخوارزمى أبحاث العالم الأغريقى بطليموس ، معتمداً على أبحاثه الخاصة ، ومن أشهر كتبه فى الجغرافيا كتاب " صورة الأرض " الذى يحتوى على خرائط أدق من تلك التى نشرها بطليموس بالإضافة إلى العديد من التحسينات الأخرى.

نكبة البرامكة

نكبة البرامكة مصطلح يشير إلى ما وقع للبرامكة على يد الخليفة العباسى هارون الرشيد من قتل وتشريد ، ومصادرة أموال ، وقد كانوا وزراء الدولة وأصحاب الأمر والسلطان ، وهى من أهم الأحداث السياسية المؤثرة فى حكم هارون الرشيد ، وفى التاريخ السياسى الإسلامى بشكل عام ، وكان لها أثر كبير من حيث توصيفها للعلاقة بين العرب والفرس فى مجال الحكم والسلطان.

فالبرامكة عائلة فارسية شهيرة نال الكثير من رجالها المناصب القيادية العليا بالدولة العباسية ، وكان أجدادهم قبل الإسلام مجوساً يعبدون النار ، وكلمة برمك تعنى خادم بيت النار ... وقد كان جدهم برمك بن عبد الله من أسرى الحملة الإسلامية التى وجهت إلى خراسان فى عهد الخليفة الأموى هشام بن عبدالملك ، ثم أسلم ، وكان عارفاً بالنجوم والحساب والحكمة ، وتقرب من الخليفة حين قام بعلاجه ، ثم لعب ابنه خالد بن برمك دوراً كبيراً فى إسقاط الدولة الأموية ، ولذلك ولاه الخليفة العباسى أبو العباس السفاح ديوان جنده والخراج ، ثم عينه وزيراً حتى توفى .

وتولى ابنه يحيى بن خالد البرمكى عدة مناصب ، فقد كان والياً على أذربيجان قبل وفاة والده بسبع سنوات أثناء خلافة المهدى والد هارون الرشيد ،

ثم عين مستشاراً ومربياً لهارون الرشيد قبل توليه الخلافة ، وكان ابنه الفضل بن يحيى أخو هارون الرشيد فى الرضاعة ، وقد وكله هارون الرشيد فيما بعد تربية ابنه الأمين ... إلا أن موسى الهادى (شقيق هارون) كان يحقد على البرامكة ، وسجن والدهم يحيى بن خالد البرمكى لأنه لم يوافقه على عزل هارون الرشيد من ولاية العهد ، وأخذ البيعة لابنه الصغير جعفر .

وبعد مقتل موسى الهادى ، واعتلاء هارون الرشيد الخلافة عام ٧٨٦م ، قام بالإفراج عن يحيى البرمكى من السجن ، وقربه إليه ، وقلده الوزارة ودفع إليه بخاتم الملك تقديراً لموقفه ، وكان لا يناديه إلا بكلمة " أبى " ... وتولى أبناء يحيى المناصب الكبرى فى الدولة ، فكان جعفر بن يحيى والى مصر ،والفضل بن يحيى والى خراسان.

وتصاعدت مكانة البرامكة ، وأصبحوا ذوى نفوذ وكلمة لا ترد ، وصاروا يدخلون على الخليفة فى أى وقت يشاؤون ، وتغير حالهم فأصبحوا يغيرون فى ولاتهم وأمرائهم وقوادهم دون الرجوع إلى الخليفة ، وصار الناس يتكلمون فيما صار إليه أمر الخليفة من ضعف وأن الأمر كله صار فى يد البرامكة ، وزاد من ذلك كله حادثة يحيى بن عبد الله الطالبى الذى خرج إلى بلاد الديلم ودعا لنفسه هناك ، وبايعه كثير من الناس ، وقويت شوكته ، فأرسل إليه الرشيد الفضل بن يحيى ، واستطاع الفضل أن يجعل يحيى الطالبى يتراجع بشرط أن يعطيه الرشيد الأمان ، وعد ذلك من أفضل أعمال الفضل ، وبعد فترة ظهر من يحيى ما أوجب عند الرشيد أن يأمر بإبقاء يحيى الطالبى عند جعفر بن يحيى لثقته فيه ، وفى ذات ليلة اجتمع يحيى مع جعفر ، وما زال به حتى أطلقه جعفر دون علم الخليفة ، وزوده بالمال اللازم لخروجه من بغداد ، فوصل الخبر للرشيد ، وكان ذلك يعد خيانة عظمى ، وعندما فاتح هارون الرشيد جعفر بالأمر، أنكره فى البداية ثم اعترف ، وأضمرها الخليفة فى نفسه .

لقد أصبح البرامكة مركزاً من مراكز القوى فى الدولة العباسية ، وكانوا يعيشون فى ترف شديد ، حتى أنهم كانوا يبنون قصورهم ويضعون على الحوائط بلاط الذهب والفضة ، وبنى جعفر بيتاً له كلفه عشرين مليوناً من الدراهم ، وكان الرشيد فى سفر ذات يوم ، فلم يمر على قصر ولا إقليم ولا قرية إلا قيل له هذا لجعفر بن يحيى البرمكى ، وعندما عاد الفضل من حربه فى الديلم أطلق لمادحيه ثلاثة ملايين درهم ، وهذا الاسراف جعل الرشيد يتابعهم فى الدواوين والكتابات ، فاكتشف وجود خلل كبير فى مصاريف الدولة .

كما كون الفضل بن يحيى البرمكى جيشاً من جند خراسان تعداده خمسين ألفاً ، وجعل ولاءه له مباشرة دون غيره ، ثم استقدم منهم عشرين ألفاً لبغداد ، مما حرك هواجس الرشيد ، كما بدأ البرامكة مخططاً بإبعاد العرب من ذوى الحظوة لدى الرشيد ، واتهامهم بالخيانة ، وتقريب الفرس والأعاجم وتوليهم أمور الجند والخراج .

وإزاء تعاظم نفوذ البرامكة ، واحتدام الصراع بين الفريقين ، بدأت الأمور تتخذ منحى جديداً ، بعد أن نجحت الدسائس والوشايات فى إيغار صدر الرشيد على البرامكة ، وذلك بتصويره بمظهر العاجز أمام استبداد البرامكة بالأمر دونه ، والمبالغة فى إظهار ما بلغه هؤلاء من الجرأة على الخليفة ، وتحكمهم فى أمور الدولة ، حتى قرر الرشيد التخلص من البرامكة ووضع حد لنفوذهم.

ولم يكن ذلك بالأمر الهين أو المهمة السهلة ، فقد تغلغل البرامكة فى كل أمور الدولة ، وصار لهم كثير من الأنصار والأعوان ، فاتبع الرشيد سياسة الكتمان ، واستخدم عنصر المفاجأة حتى يلحق بهم بالضربة القاضية .

وفى ليلة السبت (أول صفر ١٨٧ هـ - ٢٩ من يناير ٨٠٣ م) ، أمر

رجاله بالقبض على البرامكة جميعاً ، وأعلن أن لا أمان لمن آواهم ، وأخذ أموالهم وصادر دورهم وضياعهم ، وفى ساعات قليلة انتهت أسطورة البرامكة وزالت دولتهم ، وتبددت سطوة تلك الأسرة التى انتهت إليها مقاليد الحكم وأمور الخلافة لمدة ١٧ عاماً ، وكان منهم الوزراء والقادة ، ولم يستثن هارون الرشيد منهم إلا محمد بن خالد بن برمك وولده وأهله وحشمه لما ظهر من نصيحة محمد له ، وعرف براءته مما دخل فيه غيره من البرامكة ، وأمر هارون الرشيد بقتل جعفر بن يحيى البرمكى وكان عمره ٣٧ سنة ، وتم سجن يحيى البرمكى مع ولده الفضل حتى ماتا بالسجن .

وكان لنكبة البرامكة أكبر الأثر فى إثارة شجون القومية الفارسية ، فعمدت إلى تشويه صورة الرشيد ، حتى طغت تلك الصورة لدى البعض على ما عرف عنه من شدة تقواه ، وحرصه على الجهاد والحج عاماً بعد عام ، وأنه كان يحج ماشياً ، ويصلى فى كل يوم مائة ركعة .

وقد اختار هارون الرشيد بعد ذلك وزراءه ومستشاريه من العرب ، وجعل الفضل بن الربيع الذى كان أبوه حاجباً للمنصور والمهدى والهادى وزيراً له ، وكان الفضل خبيراً بأحوال الملوك وآدابهم ، فلما ولى الوزارة جمع إليه أهل العلم والأدب ، وما زال على ذلك حتى توفى هارون الرشيد عام ٨٠٩ م.

المعلم الثانى

الفارابى ... وهو أول فيلسوف يضع أسساً فى المسائل السياسية ، وله كتاب اسمه "رسالة فى السياسة" ويؤكد الكثيرون أن مكيافيلى كان يسترشد بكتاب الفارابى ليرسم خططه السياسية للقضاء على مخلفات العصور الوسطى وقد استرشد بآراء الفارابى الفيلسوف ديكارت واعترف هو نفسه بذلك.

وهو أول من اخترع آلة القانون الموسيقية وله عدة مؤلفات فى الموسيقى ، وقد ولد بمدينة فاراب وهى جزء من تركستان وقضى فترة من حياته فى مدينة بغداد وأخرى فى مدينة حلب وأخيراً مات بدمشق عام ٩٥٠ م.

يسميه علماء وفلاسفة الغرب " المعلم الثانى " والمقصود أنه الثانى فى الترتيب التاريخى لأنه جاء بعد أرسطو " المعلم الأول " ، ولقد ناقش الفارابى فلسفة كل من أفلاطون وأرسطو وخرج منها بنظريات جديدة وله مؤلف عظيم يدرس فى جامعات أوربا اسمه " أجوبة أفلاطون وأرسطو " ... كان يحلم بتحقيق المثالية بين الناس وله مؤلف " آراء أهل المدينة الفاضلة " ، وقد نقل الفيلسوف الإنجليزى فرانسيس بيكون جانباً كبيراً من كتاب الفارابى ونسبه لنفسه فى كتاب اسمه " الاتلانتيد الجديدة " وهى دولة تخيلها بيكون مدينة مثالية كما تخيلها الفارابى .

كان غزير المادة وترك أكثر من مائة كتاب من تأليفه أشهرها كتاب " ما ينبغى أن تعلم قبل الفلسفة " وكتاب " مقال فى العقل " و " توصيل السعادة " ... وكان لا يؤمن بالتخصص فى الدراسة وتحصيل العلم ويرى أن العقل البشـــرى إذا أحسن استغلاله يمكن أن يستوعب كل شئ ، فطاقته لا يحدها إلا التكاسل وقد أراد أن يثبت هذه النظرية فدرس إلى جانب كـــل المجـــالات الســـابقة الفلـــك والرياضيات وبرع فى اللغات فكان يتحدث اليونانية والتركية والفارسية والهندية والسوريالية.

عباس بن فرناس ... رجل سبق زمنه

من رواد الفكر والعلم الإسلامى فى الأندلس ، عاش بين عامى (٧٩٦ – ٨٨٧ م) كان شاعراً وفيلسوفاً وعالماً فلكياً ، فقد أدخل علم العروض فى الشعر الأندلسى ، وهو أول من صنع فى الأندلس الزجاج من السليكا ، واخترع ساعة لقياس الزمن تعتمد على الظل وقياس درجاته وحساب الدقائق والثوانى فى النهار والليل ، وابتكر لأول مرة القبة السماوية كما نعرفها الآن ، ومثل فيها النجوم والغيوم والبرق والرعد ، كما سبق مخترعى الأقلام الحديثة حين صنع ما يشبه القلم الحبر ، وبرع فى علم الكيمياء وطبق كثيراً مما عرف فيما بعد بعلم المعالجات الحرارية للمعادن ... ولكن أهم أعماله كلها كانت اهتمامه بالطيران.

وقد حاول عباس بن فرناس تقليد الطير من أجل الصعود فى الجو ، وتعتبر هذه المحاولة بمثابة أول الطريق إلى غزو الفضاء ويرجع تاريخ هذه المحاولة إلى عام ٨٨٠ م ... وقد عمد إلى تغطية جسمه بالريش ظناً بأن الريش يقلل وزن الجسم ، كما مد له جناحين طار بهما فى الجو مسافة بعيدة ثم سقط فتأذى ظهره ... واستمرت محاولات الطيران بعد ذلك حتى عام ١٦٨٠م أى أكثر من ٨٠٠ سنة حتى أثبت عالم الرياضة " يونان الفونسو " بأن الإنسان

لايستطيع الطيران على حساب قوة عضلاته المحركة كما يفعل الطير ، ويرجع السر فى ذلك إلى أنه إنما يحتاج إلى أجنحة لا يقل طولها عن ستة أمتار ، والأجنحة بهذا الطول تكون بطبيعة الحال ثقيلة بحيث يتعذر على العضلات البشرية تحريكها باستمرار وبالسرعة الكافية ... هذا علماً بأنه فى حالة الطيور تزن العضلات المحركة للأجنحة نحو ثلث وزن الطائر بأكمله.

عقب ذلك أعرض الإنسان عن استخدام الأجنحة المرفرفة ، واستعاض عنها بوسائل أخرى مثل الأسطح الخفيفة التى تحركها الأيدى والأرجل ، ولكن لم تنجح تلك المحاولات كذلك وصرف الناس النظر عن فكرة استخدام العضلات على أية صورة .

ثم ظهرت بعد ذلك فكرة الطيران الشراعى فى أواخر القرن التاسع عشر ، ثم مرحلة المناطيد والبالونات ، وكانت رحلة الطيران التى قام بها فى عام ١٧٨٣م " بيلاتر دى روزييه " و " المركيز دارلاند " فى بالون مملوء بالهواء الساخن هى أول رحلة يقوم بها الإنسان فى مركبة " أخف من الهواء " ، وأعقب ذلك فى الشهر التالى أول رحلة فى بالون مملوء بالهيدروجين ، وطار بالون الهواء الساخن فوق باريس ، ووصل إلى ارتفاع ألف متر وهبط على الأرض بعد ٢٥ دقيقة فى الهواء ، ولقد استمر الطيران فى مركبة أخف من الهواء لمدة تزيد على مائة عام.

وفى ١٧ ديسمبر ١٩٠٣ قام الأمريكيان ويلبر واورفيل رايت بأولى رحلات الطائرات فى التاريخ فى طائرتهما المزودة بمحرك ، وقد طارا بسرعة ٤٨ كم فى الساعة تقريباً ... وطارا أربع رحلات وكان أنجح طيران لهما حوالى ٠,٨ كم فى ٥٩ ثانية ... وتم ذلك فوق أحد شواطئ كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة الأمريكية .

المكان الوحيد ... الذى لا تستطيع أن تتجه بعده إلا إلى الشمال

القطب الجنوبى ... أقصى نقطة بجنوب الكرة الأرضية ويستطيع أى إنسان أن يصل إليه إذا اتجه جنوباً من أى موقع على سطح الكرة الأرضية ثم استمر فى السفر حتى يصل إليه ، وهناك لا يستطيع أن يتجه إلا إلى ناحية واحدة فقط هى ناحية الشمال .

والقطب الجنوبى يقابل القطب الشمالى من الناحية المضادة لطرفى محور الأرض ، ويعيش فى ليل دائم طوال ستة شهور من السنة ونهار دائم طوال الشهور الستة الأخرى ، والشمس تشرق عليه عندما يكون القطب الشمالى فى ظلام ، وتغرب عنه والقطب الشمالى فى نهار ، أضف إلى ذلك أن درجة البرودة فيه أشد وأقصى ، وأنه يقع وسط كتلة من اليابس هى القارة القطبية أو "انتاركتيكا " ولذلك لا يمكن لأى غواصة أن تعبره كما فعلت الغواصة " نوتيلس" عندما عبرت القطب الشمالى.

بمساحته البالغة ١٤ مليون كم مربع فإن القطب الجنوبى لا يمثل أكبر القارات ، فآسيا وأفريقيا وأمريكا الشمالية و الجنوبية جميعها تفوقه من حيث الامتداد ، واستراليا هى القارة الوحيدة الأصغر ، ومع ذلك فإنه فى معظم الأوجه الأخرى يسجل أرقاماً قياسية ، فما يقارب ٩٨% من سطحه مغطى

بالثلج ، وهذا الثلج يمثل ما يقارب ٩٠% من ثلج العالم ، وأن أسمك نقطة فيه تمثل عموداً يرتفع إلى ما يزيد على ٤ كم ، مما يجعل من القطب الجنوبى أعلى قارة على الأرض ، وبوجود الرياح التى تتجاوز سرعتها ٣٠٠ كم فى الساعة ، فإن معدل درجة الحرارة فى الصيف يبلغ ٤٠ درجة تحت الصفر ، إنها القارة الأبرد ، والأكثر جفافاً والأكثر عواصفاً ، فالقطب الجنوبى عبارة عن صحراء جليدية لأن الجليد صلب إلى درجة لا يمكن لأى كائن حى أن يستفيد منه على الإطلاق ، ولو ذاب نصف جليد القطب الجنوبى لارتفع منسوب بحار العالم بمقدار (٥٠) متراً ولما بقى من باريس ونيويورك وهامبورج وطوكيو وكلكتا وشنغهاى سوى مجرد ... ذكرى!.

وبالقرب من الشواطئ حيث يسقط الثلج ويوجد بعض الماء فهناك القليل من أشكال الحياة مثل بعض الطحالب والفطر وفى بعض نواحى الشواطئ توجد حصيرة من النباتات البدائية ولا تنبت على أرض القارة إلا نبتتان مزهرتان ، وكل ما ينمو هناك ينمو ببطء شديد .

وهناك جزر أيضاً حيث تتوالد طيور البحر والفقمات ومع أنه لا توجد أنواع كثيرة من العوالق النباتية هناك إلا أنها تتزايد بسرعة مدهشة فى أيام الصيف الطويلة ، وتنتج مياه القطب الجنوبى حوالى ٢٠% من مجموع غذاء العالم البحرى فالدياتوم الذى تتكون منه العوالق النباتية يغذى أعداداً هائلة من العوالق الحيوانية التى يعتمد عليها الأخطبوط والأسماك والطيور والفقمات والحيتان لمعيشتها .

و يسيطر الجليد على كل شئ حتى فى البحر ففى الشتاء يجمد سطح الماء ويصبح قطعة صلبة ويتكسر فى الربيع فتطوف القطع المجمدة على سطحه وتحتك بالشواطئ حيث لا يمكن لأى شئ أن يعيش ، ولكن تحت هذا الجليد

حيث تجرى مياه دافئة تجئ من محيطات دافئة ، فيوجد الإسفنج والتونيا وسمك النجمة والمرجان والطحالب التى تنمو فى الصيف هناك .

ولا يوجد سوى ١٠٠٠ شخص يعمل هناك طوال العام ينضم إليهم حوالى ٣٠٠٠ خلال الصيف حيث تشكل موقعاً مفضلاً للأبحاث العلمية فهى من أكثر الشواهد على التاريخ الجيولوجى للأرض ، ودراسة الأجواء العالية ، والأشعة الكونية ، وجاذبية الكواكب والمناخ .

وإضافة إلى حالات التطرف الجغرافى ، فإن القارة القطبية الجنوبية تشكل طرفة سياسية ، فبالرغم من الفطيرة ذات الشرائح الملونة الموجودة فى العديد من الخرائط ، لا يوجد هناك أى بلد يمتلك أى جزء من القارة ، وفى عام ١٩٥٨م وبعد إكمال "عام الجغرافية الدولية " (IGY) التى شهدت إقامة العديد من القواعد الدائمة ، دعا الرئيس الأمريكى آيزنهاور الدول الأخرى المشاركة فى IGY إلى التوصل إلى اتفاق يهدف إلى ضمان " أن القفار الواسعة غير المأهولة من القارة القطبية الشمالية لن تستخدم إلا للأغراض السلمية"، وما نتج فى العام التالى كان عبارة عن معاهدة القطب الجنوبى ، فقد اتفقت الدول الخمسة وأربعين الموقعة عليها على تعليق النزاعات و المطالب الإقليمية الدائرة حولها ، وعلى الامتناع عن جميع الأنشطة العسكرية وعمليات التنقيب ، حماية للقطب الجنوبى وصيانة القارة على اعتبارها " محمية طبيعية ، مخصصة للسلام والعلم" .

أوربا تدرس مؤلفات الرازى
حتى القرن السابع عشر

حين استدانت جامعة باريس فى القرن الرابع عشر مبلغاً كبيراً من المال من ثرى فرنسى ، لبناء بعض مبانيها التى تهدمت ، لم يجد الثرى ضماناً تملكه الجامعة للمال الذى دفعه أكثر من كتاب " الحاوى " أعظم مرجع طبى تمتلكه الجامعة فى مكتبتها الضخمة ... إنه كتاب أبو بكر الرازى.

ولد أبو بكر الرازى (٨٦٤ – ٩٣٢م) بالقرب من طهران ، وقضى معظم شبابه فى بلاد فارس ، ثم سافر إلى بغداد وكان عمره حينذاك قد تجاوز الثلاثين ... وعلى الرغم من أنه فى صباه كان مولعاً بالشعر والغناء والموسيقى، إلا أنه أعرض عن ذلك وأقبل على دراسة كتب الطب والفلسفة حتى أصبح أشهر طبيب فى زمانه.

لقد أجمع المؤرخون على أن مؤلفات الطبيب الفيلسوف أبو بكر الرازى وكلها باللغة العربية تمتاز بأصالة البحث وسلامة التفكير ، وقد زاد عدد كتب الرازى على المائتى كتاب فى الطب والفلسفة والكيمياء وفروع المعرفة الأخرى.

يقال أن الخليفة العباسى المعتضد ، حين استشاره بخصوص المكان الذى يجب أن يبنى فيه بيمارستان (مستشفى) ... كانت للرازى طريقة

مبتكرة، إذ وضع قطعاً من اللحم فى أماكن متفرقة من بغـداد ، وراح يلاحـظ فساد قطع اللحم تباعاً ... وفى المكان الذى فسدت فيه آخر قطعـة مـن اللحـم اختار أن يبنى البيمارستان ، والذى اختير كأول مدير له من بين مائـة طبيـب تقدموا للعرض على الخليفة المعتضد.

وقد تجلت شهرة الرازى فى الطب من كونه كان مبتكراً لأشياء لم يسبقه أحد إليها ، من ذلك مثلاً أنه استخدم الموسيقى لوناً من ألوان العلاج ، كذلك كان أول من عرف تأثير الضوء فى حدقة العين. كما كان صاحب الفضل فى طـب الأطفال ، إذ جعله فرعاً فى الطب قائماً بذاته ، وكان يسلك فى علاج المرضى مسلكاً علمياً يشهد له بالعبقرية ... فلم يكن يسمح لمرضاه بتناول دواء إلا إذا قام بتجربته على الحيوان .

ومن بين الأسباب التى ساعدت على تفوقه فى الطب ، أنه كان نابغاً فى الكيمياء ، فعاونه ذلك على إعداد الأدوية بنفسه .. فكان يعمل طبيباً وصيدلياً فى آن واحد.

وكان أول من استخدم مركبات الرصاص فى صنع المراهم ، وأول من توصل إلى استخدام الخيوط المصنوعة من أمعاء الحيوانات فى خياطة الجروح فى العمليات الجراحية ... وكان الرازى أول من عالج الحمى بالماء البارد سابقاً بذلك أطباء العصر الحديث ، وهو أيضاً أول من تنبه إلى العدوى الوراثيـة ... وأول من وصف بدقة مرض الجدرى وميزه عن مرض الحصبة ... والـرازى فضلاً عن ذلك ابتكارات طبية تعد من أسس المعالجة الحديثة فـى الأمـراض التناسلية والولادة وجراحة العيون ... كما نبه الرازى إلى أثر العامل النفسى فى صحة المريض.

من أهم مؤلفاته كتاب " المنصورى فى الطب " وبه وصـف تشـريحى

دقيق لكل أعضاء الجسم وقد سماه كذلك تقديراً لمنصور بن إسحاق حاكم مدينة الرى بفارس حين عينه مديراً لبيمارستان مدينة الرى ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية ، وطبع مرات عديدة فى أوربا ، وكان إلى جانب كتاب " القانون " لابن سينا من أعظم المراجع التى يعتمد عليها فى تدريس الطب بأوربا حتى القرن السابع عشر ... كما وضع كتاب " الطب الروحانى " الذى يختص بالجانب النفسى للإنسان.

ومن كتبه أيضاً كتاب " الشكوك على جالينوس " الذى انتقد فيه الرازى ثمانية وعشرين كتاباً لجالينوس ، وكتاب " منافع الأغذية " و " سر الأسرار " ، و " الجدرى والحصبة " الذى سبق فيه أطباء عصره بوصف هذين المرضين ... وكتاب " الجامع الكبير " وهو كتاب فى الطب وضعه فى خمس عشرة سنة.

ويأتى على رأس كل تلك الكتب والرسائل ، أهم كتاب للرازى وهو "كتاب الحاوى" فى الطب ... الذى يعتبر موسوعة طبية كما وصفه كثير من المؤرخين ، وقد سمى الرازى كتابه " الحاوى " لأنه يحتوى على جميع كتب وأقاويل القدماء من علماء الطب.

وقد فاقت شهرة هذا الكتاب غيره من الكتب الطبية ولقيمته العالية العظيمة ، اختصره كثير من الأطباء منهم على بن داود حوالى سنة ١١٣٠م ... كما ترجم إلى اللاتينية سنة ١٤٨٦ م ، ثم طبع بعدها بقليل فى إيطاليا ... وكان أضخم كتاب يطبع بها بعد اختراع المطبعة مباشرة ... ثم أعيد طبعه مراراً فى القرن السادس عشر الميلادى.

هل ادعى المتنبى النبوة ؟!!

ولد أبو الطيب المتنبى بالكوفة (٩١٥ -٩٦٥ م) ، سافر به والده إلى الشام وأخذ يتنقل به من البادية إلى الحضر ويتردد به على القبائل حتى توفى ، وخلال ذلك كبر أبو الطيب وأخذ ينظم الشعر وبرع فيه.

وقد نشأ أبو الطيب محباً للعلم متعلقاً به يحرص على قراءة الكتب ودواوين من سبقه من الشعراء وكان قوى الحافظة ، وقضى فترة فى " بادية السماوة " حتى يتلقى اللغة من الأعراب فلا يعجم لسانه ويحيط بأسرارها وربما كان هذا سر تمكنه من اللغة.

ويقول بعض المؤرخين إن المتنبى ادعى فى هذه الفترة النبوة ، ويروى فى ذلك أن أبا الطيب لما ذهب إلى قبيلة " كلب " وأقام فيها ادعى النبوة إلى أن اشتهر بالكذب وحبس دهراً طويلاً وأشرف على القتل ثم أعلن التوبة وأطلق .

ويروى كذلك أنه أعلن النبوة فى " بادية السماوة " إلى أن خرج عليه أمير حمص فقاتله وأسره وشرد من انضم إليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل ، وحبسه فى السجن حبساً طويلاً فمرض وكاد أن يموت ثم أعلن توبته ، وكتب عليه وثيقة شهد فيها ببطلان ما ادعاه ، ويرى بعض النقاد أن السبب فى

سجن المتنبى لم يكن ادعاءه النبوة وإنما كان بعد مطامعه وكبر آماله حتى ظن والى حمص به السوء وظن أنه سينزعه عن ملكه.

وهكذا كانت الروايات متناقضة فى أخبار ادعائه النبوة ، ويبدو أن مؤرخيه ادعوا نبوته لأنه كان واسع الآمال ، كبير المطامع ، كما يبدو أن رواية ادعاء النبوة كانت كذبة تلصق بكثير من الناس كما كانت تهمة الزندقة تلصق ببعض الكتاب والشعراء فى عهد العباسيين .

ولما خرج من السجن هام على وجهه فى البلاد يستجدى بشعره ويمدح من لاقاه سواء كان عظيماً أو حقيراً حتى اتصل بسيف الدولة الحمدانى وأخذ لايمدح أحداً سواه لمدة تسع سنوات ، وكان إجمالى ما قاله فيه يعادل ثلث شعره وهو من أعظم قصائده ، وبعد أن هجر سيف الدولة رحل إلى دمشق ثم اتجه إلى مصر وفيها حاول التقرب من كافور الإخشيدى على أمل أن ينال منه ولاية، ولما رأى أبو الطيب أنه لم يفز من كافور بشئ غادر مصر وهجاه قبل مغادرتها بيوم واحد بقصيدته المشهورة :-

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد؟

وله فى هجائه قصائد أخرى من أجود الشعر العربى ، وبعد أن غادر مصر ذهب إلى الكوفة ثم رحل إلى بغداد ثم راسله العميد من أرجان فسار إليه ومدحه بقصائد عدة ، ثم اتصل بعضد الدولة فى شيراز .

وقد أجاد المتنبى المديح وأكثر منه ، أما وصفه للوقائع الحربية فقد بلغ فيه الذروة ، وقد دفعته حروب سيف الدولة وانتصاراته إلى الإشادة بفتوحاته ، وكان يجيد الرثاء والحكمة كما كان كثير الزهو بنفسه ، دائم الإعجاب بمواهبه فكثر فى شعره الفخر وهو القائل : -

وما الدهر إلا من رواة قصائدى إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً

وهو القائل أيضاً :-

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى وأسمعت كلماتى من به صمم

وفى أحد أسفاره قتل فى الطريق ، وقد قتله رجل من بنى أسد يسمى "فاتك بن أبى جهل" ومعه جماعة من الأعراب وهو خال " ضبه بن يزيد العينى" الذى هجاه المتنبى أفدح هجاء ... ويقال أنه لما اشتد القتال هم المتنبى بالفرار فقال له غلامه :

أتهرب وأنت القائل :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فرد عليه المتنبى " قتلتنى ورب الكعبة " ، وعاد وقاتل حتى قتل وابنه واحد غلاميه بالقرب من بغداد.